أثر القرآن في نشأة العلوم اللغوية

The Impact of the Qur'an on the Emergence of Linguistic Sciences

أ.د. هادي نهر

Prof.Dr. Hadi Neher

جامعة مزايا/ كلية الآداب واللغات

University of Mazaya\ College of Arts and Languages

E-mail: haiderNaher.algeness@abco.bio

الكلمات المفتاحية: أثر، اللغة، القرآن، العربية.

Keywords: Impact, language, Quran, Arabic.

الملخص

تضـــفى على الحياة الفكرية والعلمية والمعرفية العربية الإســـلامية ظواهر متعددة من أبرزها ظاهرتان ظهرتا منذ المبعث، أولهما القرآن الكريم الذي تمَّت له الصـــدارة على كل ما أنتج العرب من أدب وبيان.

وثانيها هي ظاهرة الإعجاز البلاغي التي لم تعرفها الآداب الأممية الأخرى، وقد تجلّت هذه الظاهرة في المقام الأول في القرآن الكريم، ومن الطبيعي أن يتناول العرب المســـلمون القرآن الكريم بالدرس والنظر على وجوه من العلم، والمعرفة، يشرحون ألفاظه، ويفسرون آياته، ويستنبطون الشريعة منه، ويحاولون معرفة سرّ بلاغته وبيانه وإعجازه، ويقايسون بينه وبين ألوان من الكلام الرفيع، ويضعون الأساليب في الميزان الدقيق ليتبنوا الرفيع من الوضيع، وقد ارتبطت بهذا كلّه دراسات أخرى منها البحث في أصـوات الكلمة القرآنية ودلالاتها، وفي غريبها واشـتقاقها، وتراكيبها، وأسـلوبها، وصـورها الكلامية واختلافها باختلاف المقام، والقراءات التي قرئت بها، ورســـمها الإملائي، وغير ذلك من الدرس اللغوي على المستويات اللغوية كافة "مما قامت باللغة العربية أساساً الخدمة الدين الإسلامي الحنيف، ومن أجل فهم القرآن الكريم مصدر التشريع الإسلامي، ودستور المسلمين".

سنتناول باذن الله تعالى العلوم اللغوية على مستوياتها الصوتية والبنائية والمعجمية والصرفية والدلالة، ومن ثم المستوى النحوي التركيبي.

Abstract

The Arab-Islamic intellectual, scientific, and cognitive life is enriched with multiple phenomena, the most prominent of which are two phenomena that have appeared since the Resurrection, the first of which is the Noble Qur'an, which took precedence over all that the Arabs produced in terms of literature and statement. The second is the phenomenon of rhetorical miraculousness that other international literatures did not know, and this phenomenon was manifested primarily in the Holy Qur'an, and it is natural for Muslim Arabs to study the Holy Qur'an by studying and looking at aspects of knowledge and knowledge, explaining its words, interpreting its verses, and deriving Sharia from it. They try to know the secret of his eloquence, clarification, and miraculousness, and they compare him with different types of sublime speech.And they put the methods in the accurate scale to adopt the sublime from the low, and all of this has been related to other studies, including the search in the sounds of the Qur'anic word and its connotations, in its strangeness and derivation, its structures, its style, its verbal forms and its difference according to the position, the readings in which it was recited, its spelling, and other studies. Linguistic at all linguistic levels "from what the Arabic language has basically served the true Islamic religion, and in order to understand the Noble Qur'an, the source of Islamic legislation, and the constitution of Muslims." We will, God willing, deal with linguistic sciences at their phonetic, structural, lexical, morphological, and semantic levels, and then the synthetic grammatical level.

مدخل:

القرآن الكريم حقيقة لغوية معجزة تتجاوز اللغة إلى ما تعجز اللغة نفسها ويعجز أصحابها عن الإتيان بمثل لغته التي جذبت إليها قلوب الفصحاء من العرب لما انطوت عليه من سحر البيان إلى التأثير في أعماق القلوب وبين أيدينا شواهد لا تحصى على ذلك، ربما يكون قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لما سمعت القران رقّ قلبي فبكيت ودخلني الإسلام"(1)، احد هذه الشواهد الساطعة على فعل القرآن الكريم في دواخل النفس المتلقية، فالقرآن الكريم كتاب رباني يستوفى في بيان صريح الحق الذي لا مرية فيه، ويهدي إلى آخر ما يهتدي إليه العقل من أصول المعارف الحقيقية، وكليات الشرائع الفطرية من غير نقيصة، ولا خلل، ولا التواء، أو تناقض.

والقرآن الكريم بعد هذا نصّ لكلّ زمان ومكان، غير منحصر بزمان صدوره ومكانه، نصّ حيّ إلى قيام الساعة لن يتوقف ولن يتوقف من إحداث التأثير الحاسم، والفارق الروحي والمعنوي والفكري في حياة الذين يؤمنون به. وإذا كان الفكر في أبسط مفاهيمه "إعمال الخاطر في الشيء"(2)، أو الأشياء، وأنّ الفكرة "قوّة مطرقة للعلم إلى العلوم، والتفكير جولان تلك القوة بحسب العقل"(3)، فإن القرآن الكريم قد أحدث في حياة المسلمين حركة فكرية ساطعة الأنوار نحو طلب العلم والمعرفة، وتأسيس العلم للوصول إلى الحقائق، حركة قُيّدت بقيود معينة لتكون في ضوئها "متصفة بكونها علوماً إسلامية، وهذه القيود شملت اللبنات التي يحرّكها الإنسان في فكره، أو في طريقة تحريكه إياها لكي يصل إلى مطلوبه"(4)، ونحن لا ننتظر من هذه القيود المنهجية، والموضوعية، والإجرائية إلا أن تكون غير منافية لما قرره الإسلام من مبادئ، وضوابط، وتعالم، وقيم، وهو يدعو الإنسان المسلم لطلب العلم، والتدبّر، والتفكّر، حتى تُوسم العلوم التي يبدعها بأنها علوم إسلامية، وما أبدع البديع العالم الخالق وهو يردّد بيننا قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾[من سورة المجادلة: 11], ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾[من سورة طه: 114]، ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾[من سورة الانعام: 50]، ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[من سورة الزمر: 42]، بهذا القول الرباني المعجز تحرّكت كلّ طاقات المسلمين الفكرية نحو كلّ المسائل الممكنة للعلم والمعرفة نظرياً وتطبيقياً، فراح العلماء المسلمون

يجمعون بين الحس والعقل والخبر الصادق ضمن توازن دقيق وحصيف، فأقاموا المعارف، والعلوم الإسلامية بعد أن مكّن القرآن الكريم اللغة العربية من التوحّد لتكون لغة قومية لكلّ العرب من المحيط الأطلسي غرباً إلى الخليج العربي وحدود إيران شرقاً، ومن ساحل البحر الأبيض المتوسط إلى خط الاستواء والسودان جنوباً، "وصار القرآن الكريم جنسية عربية تجمع أطراف النسبة إلى العربية، فلا يزال أهله مستعربين به، متميزين بهذه الجنسية حقيقة أو حكماً"[5]، وهذا التمايز العربي ليس عصبية جنسية استعلائية، لأنَّ من معجزات القرآن الكريم أنّه وجّه عصبية العرب من عصبية جنسية إلى عصبية روحية بعد أن ألّف بين قلوبهم وسوّى بين أقدارهم، ثم ألَّف بينهم وبين سائر الأمم التي دخلت الإسلام، فجعل منهم أمة تتسع جميع الأمم، بوجهها كيفما أقبلت، لأنّها لا تتوجّه إلا لله، فكأنَّ ما بينها وبين الله سبحانه كل ما تحت السماء ومن هذا المعنى نشأت الجنسية العربية، وبدأت الألفة بين مذاهب الفطرة اللغوية وتشتت الألسنة واختلافها، مثلما بدأت الألفة بين قلوب المسلمين على الأرض. لقد تحوّل بالقرآن الكريم كلُّ شيء ذو صلة بالمعرفة وبالعلم إلى وقائع، وعلى هذا الأساس نرفض مقولات بعضهم من أن العلم العربي الإسلامي كان جاهزاً في حيوات الناس قبل الإسلام وان العلماء دوّنوه بإضافة التبويب لا غير، فهذه مقولة مغرضة وغير صحيحة تاريخياً، إذ لم يكن العلم جاهزاً في الفضاء الفكري للعرب وهناك فرق بين جاهزية المعرفة أو العلوم وبين تدوين العلم وتبويبه،ـــ وتصنيفه إلى فنون العلم وضروب المعارف"[6]، مع التأكيد على ما للعرب من بعض المعارف والفنون والصناعات التي لا ترقى إلى منظومة العلم، الممنهج، والمبوّب، والقائم على تصوّر وظيفي، وتحوّل يحكم الفكر والوعي، ويقوم على المنهجية، والأنساق التصورية القصدية، والاختيار، والجدل والتحفيز، والتدرج المنطقي في سنّ الأنظمة، وتقعيد القواعد، وتعليل الأشياء والظواهر والأحداث. ومن فضائل القرآن الكريم على الأمة الإسلامية أنّه حفّزها على العلم مثلما حفّزها على الفضائل، والحق والعمل وشرف الإنسان، وبذلك نهضت عزائم المسلمين باتجاه كل فعل معطاء، وصار طلب العلم والمعرفة والحق "مسؤولية على نفوسهم، وجعلوا كالعاشقين لها، يجاهدون نحوها، وربما كان ذلك بقول، وربما كان بفعل"[7]، ولهذا تعانقت العلوم الإسلامية، وتمازجت، لأنَّ محرّكها وباعثها الأول كان واحداً، هو القرآن الكريم الذي أنار أمام النابهين من العرب السبيل ليندفعوا نحو تأسيس العلوم العربية الإسلامية﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾[من سورة النساء: 174]. وبهذا النور المبين كان الهدى والإيمان، وكانت الحياة العلمية، التي وضع فيها العرب علومهم، ومنها العلوم اللغوية، بعد أن التقى المثال والمعجز اللغوي القرآن الكريم، بالإنسان المسلم الذي امتلك الفكر الذي يؤهله لفهم أو محاولة فهم الرسالة السماوية، هذا الإنسان الذي اختصه الله سبحانه "بالطهارة والنزاهة عن الأدناس التي استباحها غيره"[8].

العلوم العربية:

تضفى على الحياة الفكرية والعلمية والمعرفية العربية الإسلامية ظواهر متعددة من أبرزها ظاهرتان ظهرتا منذ المبعث، أولهما القرآن الكريم الذي تمَّت له الصـدارة على كل ما أنتج العرب من أدب وبيان. وثانيها هي ظاهرة الإعجاز البلاغي التي لم تعرفها الآداب الأممية الأخرى، وقد تجلّت هذه الظاهرة في المقام الأول في القرآن الكريم، ومن الطبيعي أن يتناول العرب المسـلمون القرآن الكريم بالدرس والنظر على وجوه من العلم، والمعرفة، يشـرحون ألفاظه، ويفسـرون آياته، ويستنبطون الشريعة منه، ويحاولون معرفة سرّ بلاغته وبيانه وإعجازه، ويقايسون بينه وبين ألوان من الكلام الرفيع، ويضـعون الأساليب في الميزان الدقيق ليتبنوا الرفيع من الوضـيع، وقد ارتبطت بهذا كلّه دراسات أخرى منها البحث في أصوات الكلمة القرآنية ودلالاتها، وفي غريبها واشتقاقها، وتراكيبها، وأسـلوبها، وصـورها الكلامية واختلافها باختلاف المقام، والقراءات التي قرئت بها، ورسـمها الإملائي، وغير ذلك من الدرس اللغوي على المسـتويات اللغوية كافة "مما قامت باللغة العربية أسـاسـاً الخدمة الدين الإسـلامي الحنيف، ومن أجل فهم القرآن الكريم مصـدر التشـريع الإسـلامي، ودسـتور المسـلمين"[9]. حيث أن الفكر الإسـلامي بكل آفاقه يدور في فلك اللغة العربية، أول ما يدور وآخر ما يدور، وقد صـار العرب بهذا الفكر مسؤولين عن هداية العالم كلٌّ من موقعه منارة، أما محور المنارة ومركزها فهم العرب، مادة الإسلام، وروحه، ومثله، والشراة من أجله. ومثلما انتشـرت اللغة العربية بفضـل القرآن في كل مكان أوصـل العرب المسـلمون إليه صـوت الإسـلام حتى صـارت اللغة العربية لغة عالمية يتكلم بها أقوام غير عرب وفي بلدان لم يكن لها فيها نصـير، ولا للعرب فيها سـلطان، وهذا تأثير "يفوق تأثير المراكز الثقافية التي نراها اليوم منتشرة في بلدان العالم للسهر على رعاية لغات معينة كالفرنسـية أو الانجليزية، فأصـحاب هذه المراكز ينفقون الملايين في سـبيل الدعاية لمراكزهم وثقافاتهم ونشـر لغاتهم، في حين أن الإسـلام يجعل من البلاد التي ينتشـر فيها شـعوباً راغبة عن طواعية ومحبة في تعلم لغة القرآن"[10]، أقول إذا كان فعل القرآن الكريم على انتشار اللغة العربية في أصقاع العالم كلها على هذا النحو، فقد كان هذا الكتاب الرباني العظيم هو المحرك الأول للعرب والمسلمين باتجاه وضـع العلوم اللغوية والفقهية، والشرعية، وعلوم الحديث والقراءات، وعلم الكلام، والمنطق وغير ذلك من العلوم الإسلامية، ولأن مصدر هذه العلوم، وباعثها الأول هو القرآن الكريم، وهو في الوقت نفسه مقصـدها وغايتها، رأى بعض الفضـلاء[11] ضـرورة دراسـة هذه العلوم جملة واحدة حتى يتسـنّى فهمها يداً وتتبعها حيث نشأت، وحيث نمت، وحيث نضجت، ومن غير الصواب دراستها متفرقة، بعضـها بمعزل عن الآخر. ولبيان هذه الحقيقة سنتناول العلوم اللغوية على مستوياتها الصـوتية والبنائية والمعجمية والصرفية والدلالة، ومن ثم المستوى النحوي التركيبي.

المبحث الأول

علماء الأصوات والقراءات القرآنية

إذا كان العرب متأخرين – زمانياً – عن كثير من الأمم التي سبقتهم في مجال الدرس اللغوي العام، فإنّا نجدهم في مجال الدرس الصوتي قد سبقوا وبتفوق معرفي علمي الأمم الأخرى في هذا الميدان، وتلك حقيقة علمية لا نقولها من باب الادعاء أو الفخر القومي، بل إنها حقيقة يقرّها بعض علماء الغرب أنفسهم، من أمثال (فيرث) الانجليزي الذي يرى "أن الدراسات الصوتية نشأت ونمت في أحضان لغتين مقدستين: العربية والسنسكريتية"[12]، و(براجستراسر) الألماني الذي يرى انه "لم يسبق الأوروبيين في هذا العلم – يعني علم الصوت – إلا قومان: العرب والهنود"[13]، ويرى (جورج مونين) الألماني على الرغم من موقفه المضاد للعرب أن علم الأصوات عند العرب "ظاهرة مهمة بحد ذاتها .... ولابد من الاعتراف بوجوده عندهم، وإنه عمل ممتاز"[14]. وعلى الرغم من البون الشاسع بين الدراسات الصوتية عند الهنود القدماء والدراسات الصوتية العربية مضموناً، ومنهجاً، وتطبيقاً، ونتائج[15]، وعلى الرغم من أن الدراسات الصوتية التي اكتملت أسسها وموضوعاتها على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 175هـ) ومن بعده تلميذه سيبويه (ت: 180هـ) مروراً بابن جني (ت: 392هـ)، وانتهاء بالرضي الاسترابادي (ت: 684هـ)، هذه الدراسات التي لم تقوَ أوروبا على الإتيان بمثلها إلا بعد عشرة قرون من الزمان ويزيد، أقول على الرغم من هذا كله، فإن هذه الدراسات الصوتية العربية المرموقة كانت قد ابتدأت في صدر الإسلام وبفضل القران الكريم، وبأمر من الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ ﴾[من سورة المزمل: 1–4]، وما الترتيل إلاّ تجويد الحروف ومعرفة الوقوف، وكان المعلم الأول لهذا الترتيل النبي ﷺ وعنه أخذ الصحابة الأجلاء فتعلموا كيفية أدائه "وكانت فصاحتهم وطبائعهم السليمة تقتضي قدرتهم على الأداء كما سمعوه عن النبي ﷺ"[16]. وعن النبي ﷺ أُخذ التجويد الذي صار فيما بعد علماً قائماً بنفسه لكونه حلية القران، وقد أخرج ابن مسعود أنّه قال: "جوّدوا القرآن بأصواتكم"[17]، أي أعطوا الأصوات حقوقها وترتيبها، وردّوها إلى مخارجها، وتلطفوا بنطقها على كمال هيئاتها من غير إسراف، ولا تعسف، ولا تكلف، "فمن أحب أن يقرأ القرآن كما أُنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد ابن مسعود رضي الله عنه"[18]، وهكذا كان الرسول يأمر أصحابه، مما دفع بالعلماء أن يعدوا القراءة بغير تجويد لحناً، ولذلك رأوا أن بلوغ النهاية في تجويد القرآن مثل رياضة الألسن، والتكرار على اللفظ المتلق من فم المحسن، وقاعدة هذا التجويد، أو قواعده قائمة على كيفيات صوتية محددة منها الوقف والابتداء وكيفياته على أواخر الكلم سكوناً، أو رووا، أو إشماماً، أو إبدالاً، أو نقلاً، أو إدغاماً، أو حذفاً، أو إثباتاً، أو إلحاقاً[19]. ولكل من هذه الكيفيات الصوتية، أسبابه، ووجوهه، ووظائفه وعلاقاته بغيره من

الظواهر الصوتية الأخرى[20]، فالإدغام على سبيل المثال يرتبط بحسب صوره ووجوهه بالإظهار، والإخفاء، والإقلاب. وكذا الأمر الوقف والوصـل، والمد والقصـر، والهمز والتخفيف، وغير ذلك مما احتواه علم التجويد الذي صـار علماً مسـتقلاً بفضـل من القرآن الكريم، صـدر عنه، وترتّب عليه. وفي السياق التاريخي الذي نشأ فيه علم الأصوات العربي كان هناك علم من علوم العربية عظيم الشأن هو علم القراءات القرآنية، وبين علم الأصوات والتجويد وعلم القراءات وشائج متينة، فكأنَّ كلاً منهما هيأ للآخر أن ينشـأ، وينمو، ويكتمل، فإذا قلنا إن علم الأصـوات العربي انعكاس واضـح وجلي لعلم القراءات والتجويد، يمكن أن نقول في الوقت نفسـه أن علم التجويد، وهو علم صـوتي في المقام الأول قد هيأ لعلم القراءات القرآنية أن ينشـأ وينمو، وترسـم حدوده الموضـوعية والمنهجية والتطبيقية، ويتماهى ويتناهى ليستحيل علماً عربياً مستقلاً هو من بعض بركات القران واملاءاته على الفكر العربي الإسـلامي. وليس من الجديد القول بتعانق علوم التجويد والأصـوات "وارتباطها الوثيق ما دامت قد تزامنت نشـأة وتطوراً"[21]، وكان وراءها هدف واحد تنطلق منه أو بفضله، وتعود إليه اعني القرآن الكريم، وكان الصحابة الأجلاء، وعلماء العربية من الرعيل الأول من الأفذاذ قد تلقفوا مبادئ هذه العلوم من المعلم الأول الرسـول الكريم ﷺ فهو القائل: إن هذا القران أُنزل على سـبعة أحرف، ولكن لا تختموا آية رحمة بعذاب، ولا تختموا ذكر عذاب برحمة"، و"إن هذا القرآن أُنزل على أحرف فاقروا ما تيسـير منه"[22]. وعلى الرغم من سـعة الحديث القائم بين العلماء المسـلمين في المقصـود بالأحرف السـبعة، وما في بعضـها من بُعْد، وفي بعضـها الآخر من إرادة تعيين دلالتها على "سـبيل القطع والجزم مع انه لم يأت في معناها نص ولا اثر"[23]، فان الذي يعنينا في هذا المقام الحقائق الآتية: أولاً: أن القراءات القرآنية وجوه أدائية لبعض آيات الذكر الحكيم سـمح النبي ﷺ بقراءتها قصـد التيسـير"[24]،فهي علم يبحث في كيفية النطق بألفاظ القران الكريم،وموضوعه من حيث انه كيف يقرأ"[25].

ثانياً: أن هناك فرقاً بين القران والقراءات إذ هما "حقيقتان متغايرتان فالقران هو الوحي المنزل على محمـد ﷺ بكـل قراءاتـه، والقراءات "اختلاف ألفـاظ الوحي المـذكور في الحروف، وكيفياتها من تخفيف، وتشديد وغيرها"[26]، من كيفيات نطق صيغة وتراكيبه، والقران "ما نقل إلينا بين دفتي المصـحف تواتراً، وما لم ينقل متواتراً ليس قرآناً قطعاً كالذي اختص به مصـحف أبي، وابن مسـعود رضـي الله عنهما، مما نقل بطريق الآحاد[27]. إن القراءات القرآنية متواترة عند جمهور العلماء منها: السـبع، ومنها العشـر، ومنها المشـهورة، والشـاذة، والخلاف في القراءات جميعها خلاف واجب محله القراءات والروايات والطرق التي يلزم القارئ الإتيان بجمعها، فلو أخل بشيء منها عد ذلك نقصاً في روايته، وخلاف جائز: وهو خلاف الأوجه التي على سبيل التخيير والإباحة، كأوجه البسـملة، وأوجه الوقف على عارض السـكون، وغير ذلك مما لا يكون القارئ

ملزماً في الإتيان بوجه محدد منه، وهذه الأوجه الاختيارية لا يقال لها قراءات، ولا روايات، ولا طرق، بل يقال لها (أوجها) فقط[28]. ومما لا جدال فيه أن القرآن نزل بلسان عربي مبين، ولا تواتر فيه بل فصاحة، وتبيان، حملتها لهجة قريش "محكم لا لحن فيه، ولا فيه شيء تتكلم العرب بأجود منه في الإعراب"[29].

ثالثاً: أن الرسول الكريم ﷺ قد تلقّف القرآن الكريم من باب واحد وعلى حرف واحد بلغة عربية غير مشوبة بشوائب لحنية، وأنّ جبرئيل عليه السلام كان يعارض في كل حين الرسول الكريم بالقران بهذه اللهجة لتثبيت كلام الله تعالى في ذهنه وقلبه ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾[من سورة الاعلى: 6]، وان الرخصة في تعدد وجوه القراءات انما صدرت عن الله سبحانه وتعالى، لطفاً بالمسلمين، وتسهيلاً عليهم[30].

رابعاً: أن الرسول الكريم ﷺ كان على ما روى عنه ﷺ يراجع بدوره الصحابة، وحفظة القرآن رضوان الله عليهم، ويصوّب ما اخطأوا فيه، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قرأ على رسول الله قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾، [من سورة الروم: 54]، بفتح الضاد فردها عليه بالضم[31]. ومعنى هذا أن علم القراءات انطلق كالبرق المضئ في حياة المسلمين بأمر الله ويسره، وكان المعلم الأول له الرسول الكريم ﷺ ثم ترعرع ونضج في عهد الصحابة إلى عهد التابعين إلى أن استوى واكتمل وصار له علماؤه، ومناهجه، ومصطلحاته، وأصوله، التي لا نزال ننهل منها اليوم. ولقد كان علم القراءات وسيظل علماً قرآنياً عزيز المنال، غزير لا تنقضي عجائبه، ومفيداً لا تنقطع فوائده، وحدثاً عظيماً في تاريخ اللغة العربية، فجر طاقاتها، وأحيا ما غرب عنها من أصولها، وأوضح "دقائقها، وساعد على التعرف على مخارج أصواتها، وتعدد صفات هذه الأصوات، وأنّه أثرى على التفسير والدلالة بمادة موضوعية واسعة الأطراف، بل أنّه أمدَّ علم الأصوات العربي بروافد موضوعية علمية كثيرة لا نزال نكتشف فيها ومنها الجديد، فاختلاف المعاني باختلاف الصيغ الصوتية التي يحملها الصوت المفرد من همس وجهر وتفخيم وترقيق وتغليظ، وإخفاء، وإظهار، ولين وانفجار، وأطوال في المد بأنواعه، والقصر، والقلقلة، والإدغام بأنواعه المختلفة، والإشمام، والروم، والإخفاء، والانقلاب، والنبر والتفخيم والانقلاب الصوتي، والمماثلة والمخالفة، والإبدال الصوتي اللهجي، وكل أنواع التلوين الصوتي على مستوى الصوت المفرد، وعلى مستوى البنية الصرفية الواحدة، وعلى مستوى التركيب المعين، كلُّها بعضٌ من إفرازات علم القرآن الكريم، الذي دفع بالعلماء المسلمين لغويين وقراء ومفسرين إلى تدبر دقائق هذا العلم تدبراً للسان العربي المبين، ودوننا في ذلك على سبيل المثال لا الحصر تأليف بعض العلماء في (المثلثات)، التي تدارس من خلالها بعض العلماء أحوال الكلمة العربية المعينة

حين يجرى عليها تحولاً داخلياً في تغيير حركات أوائل الحروف منها كما هو صـــنيع محمد بن المستنير (ت: 206هـــ)، ومحمد بن عبدالله (ت: 520هـــ)، وأبي بكر الوراق (ت: 685هـــ)، والفيروز آبادي (ت: 812هـ)، وغيرهم كثيرون[32].

المبحث الثاني

علما المعجمية والدلالة

لعلّ أبرز مظهر ميدان علمي يؤكد أن القرآن الكريم هو نقطة انطلاق العلوم الإســلامية جميعها هو علم التفســير، القائم في أكثر وجوهه على علمي المعجمية والدلالة، وإن كان بعض العلماء قد وسّعوا من دائرة علم التفسير إلى القول بأنه "علم يبحث في كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها، وبحســب ما تقتضــيه القواعد العربية"[33]، وانه أيضــاً "علم يعرف به نزول الآيات وشؤونها، وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها، ومدنيها، ومحكمها، ومتشابهها، وناسخها ومنسوخا .... وغيرها"[34]. وهذه المفاهيم الصحيحة والصائبة لعلم التفسير قد جمعت بين تعريفه، وشروطه، ووسّعت من وظائفه وأهدافه ممّا يطول الحديث فيه، ويخرج بنا عن مهمة البحث الذي قصــدنا إليه، وهو أثر القرآن الكريم على نشــأة العلوم اللغوية ومنها علما المعجمية والدلالة، وما التفســير إلا قرين لهذين العلمين ما دام القصــد منه "كشــف المراد عن اللفظ المشكل"[35]، و"بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً"[36]، ونحن نؤمن بان نزول القرآن الكريم، قد شكّل نقطة البداية لتأسيس علمي المعجمية والدلالة، مثلما هو نقطة البداية لإيجاد علم التفسير، وغيره من العلوم الإســلامية. وكان الرســول الكريم ﷺ هو المعلّم الأول لهذه العلوم الثلاثة: المعجمية والدلالية والتفسيرية، فقد كان ﷺ قد حمل على عاتقه تبيان معاني القرآن نزولاً لرغبة الله سبحانه ﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[من سورة النحل: 44]. ثم آل الأمر إلى بعض الصــحابة الأجلاء وعلى رأســهم الخلفاء الأربعة، وابن مســعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت وغيرهم ممن يمثلون الطبقة الأولى من مفسري الصحابة رضوان الله عليهم ويليهم الطبقة الثانية من التابعين كـــ (مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وضحاك)، وبعد هؤلاء تابعو التابعين من رجال الطبقة الثالثة كـ (ربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وأبو صالح الكعبي) ونضرائهم وهكذا تتولى طبقات المفسرين إلى أن يكتمل علم التفسير علماً فذاً، ونشاطاً جماعياً لا فردياً له أنواعه، وشروطه الصارمة، ومدارسه واتجاهاته، ومناهجه، وعلماؤه، ومريدوه إلى يومنا هذا، فظهرت أمّات كتب التفســير للرازي، والطبري، والزجاج، وابن كثير، والواحدي، والقرطبي، والثعلبي، وأبي حيان الأندلسي، وغيرها كثير من المظان التي أشبه ما تكون موسوعات ضمّت زيادة على التفسير قضايا معجمية ودلالية وصوتية، وصرفية، ونحوية لا نزال نكتشف منها الجديد والمزيد. ونحن نعتقد أن بداية الدرس

اللغوي عند العرب وبفضل القرآن الكريم كانت معجمية، وإن كان العلماء العرب الأوائل من القراء واللغويين، وأصحاب الأدب والأنساب. وتبدو أسبقية الدرس المعجمي عند العرب على غيره من العلوم محصلة لغاية سامية وجوهرية وهي كشف المراد من اللفظ القرآني، وبحسب (الطاقة البشرية)، لأن القرآن الكريم ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [من سورة ال عمران: 7]. فضلاً عن أن موقف اللغويين ومنهم النحاة وبعض المفسرين من العلاقة بين المكونات المعجمية، والمكونات التركيبية يشير إلى وعيهم بأن إدراك العناصر المعجمية في اللغة بوصفها كيانات معقدة مجردة، لأمر سابق حتماً على النظر إلى تلك المفردة بوصفها ذرة تركيبية تدخل في سياق كلامي فتدرس دراسة نحوية، ونرى – مع من يرى – أن الأسبقية هي الحجة الأقوى التي نستند إليها في موقفنا المؤكد المنطلق إنما هو المعجم لا النحو[37]. ونحن نعتقد أن المحاولات الأولى في النشاط المعجم الدلالي قد اقترنت بمجمل الدراسات اللغوية عند العرب، وإن كان هذا النشاط المعجمي هو طليعة هذه الدراسات، لأن من أبرز أسباب ظهور هذا النوع من العلوم يتمثّل في مواجهة المسلمين مشكلة فهم النص القرآني، وبخاصة حين كانوا يجدون في بعض الآيات ألفاظاً لا يعرفون معانيها، فيسألون عنها، ثم يقيدون تفسيراتها إلى جانبها خلال النصوص حتى يتذكرونها عند التلاوة، ومن الأمثلة المشهورة في هذا المقام ما عرف في (سؤلات نافع بن الأزرق) التي تعد بنظرنا إحدى المقدمات الطبيعية لنشأة علم المعجمية، وعلم التفسير، وهذه السؤلات تمثل محاورة دارت بين الصحابي الجليل عبدالله بن عباس (ت: 68هـ) رضي الله عنهما، ونافع بن الأزرق، وسواء صحّت نسبتها إلى ابن عباس أم لم تصح[38]، فإنّ لهذه المحاورة قيمة علمية مرموقة يمكن الانطلاق منها في تحديد النشأة الأولى للمعجم العربي، وفي الوقت نفسه ترسم صورة أولى لنشأة علم الدلالة العربي، وكل بفضل القرآن الكريم إذ أن هذه المحاورة تجري على بيان معنى الكلمة المعينة الواردة في القرآن الكريم، ثم الاستشهاد لها من أشعار العرب، وفي ذلك يقول سعيد بن جبير ويوسف بن مهران: "سمعنا ابن عباس يُسأل عن شيء من القرآن فيقول فيه: كذا وكذا، أما سمعتم الشاعر يقول: كذا وكذا"[39]. وإذا تصفحنا كتب التفسير، وشروح الحديث النبوي الشريف، فسنجدها مملؤة بالروايات اللغوية في تفسير الكلمات، سواء ما رواه الرواة مشافهة من أفواه فصحاء العرب، أو رووه من الآثار الأدبية شعراً ونثراً في الجاهلية والإسلام[40]. والناظر لمحاورة ابن عباس وهو جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن، وعلى رأس هؤلاء (نافع بن الأزرق) ليدرك مقدار ابن عباس رضي الله عنهما العلمي وسعة معرفته بلغة العرب وأشعارها ويتبين له فضل هذا الصحابي الجليل في إبداع علم المعجمية العربية التي

اكتملت فيما بعد على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 175هــ) في كتابه (العين). كما سنرى لاحقاً، لقد وقف نافع بن الأزرق (ت 65هـ) وصاحبه نجدة بن عمير (ت: 69هـ) أمام الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنهما ليقولا له: إنّا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا، وتأتينا بمصـــادقة من كلام العرب، فان الله تعالى أُنزل القرآن بلســـان عربي مبين، فقال ابن عباس، ســــلاني عما بدا لكما، فقال نـافع: أخبرني عن قول الله تعـالى: ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴾[من ســورة المعارج: 37]، قال: العزين: الحلق الرّقاق. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عبيد بن الأبرص، وهو يقول:

فجاءوا يهرعون إليه حتّى   يكونوا حول منبره عزينا

قال: أخبرني عن قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[من سورة المائدة: 35]. قال: الوسيلة: الحاجة، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم. أما سمعت عنترة العبسي، وهو يقول:

إنّ الرجال لهُم إليك وسيلةٌ   إن يأخذوك تكحّلي وتجمّلي

قـال: أخبرني عن قولـه: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[من ســورة المائدة: 48]. قال: الشــرعة: الدين، والمنهاج: الطريق. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما ســـمعت أبا ســـفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وهو يقول:

لقد نطق المأمونُ بالصدق والهدى   وبيّن للإسلام ديناً ومنهجاً ..." (41)

وهكذا تجري هذه المحاورة المعجمية الدلالية التفسيرية لترسم لنا نقطة البداية الموفقة في بناء علم معجمي دلالي. وقد أعقب هذه المرحلة التي ابتدأها الرســـول الكريم ﷺ وتابعه بعد ذلك الصـــحابة الأجلاء والتابعون الأفذاذ، لندخل المرحلة الثانية بظهور كتب الغريب والمعاني التي بدأت في وقت مبكر من التاريخ بتدوين الألفاظ اللغوية مرتبة في كتيبات ورسـائل متفرقة صـغيرة محدودة الموضـوع، وهي على هذا الوصـف كانت من أهم مصـــادر بناء المعجم العربي، ولعل أقدمها ما نُســـب إلى ابن عباس من كتاب في (غريب القرآن) أو (اللغات في القرآن) (42)، وعلى الرغم من عدم تحققنا من صـحة نسـبة هذا الكتاب لابن عباس لأسـباب متعددة ليس هنا مجال لذكرها مفصـــلة، من بينها أن خلاف العلماء في جنس بعض مفردات القرآن من حيث كونها عربية، أو أعجمية مما ورد في هذا الكتاب لم يكن في عصر ابن عباس، وإنما كان وليد عصور

لاحقة، ولم يؤثر عنه ﷺ فيما اشتهر به من تفسير بعض مفردات القرآن الكريم إسناد لفظة ما إلى لغة أخرى غير عربية وإنما المأثور عنه انه إذا جحد لفظاً بلغة تخالف لغة قريش قال: هو بمعنى كذا بلغة كذا، سواء أكان اللفظ والمعنى بلغة عربية، أو أعجمية، وعدم التسليم بنسبة الكتاب لا يضعف من قيمته العلمية والموضوعية أبداً، ولا يقلل من شأن ابن عباس وتمكّنه من لغة القرآن أيما تكن وهو الصحابي الجليل الذي فاز بدعاء الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بالعلم والحكمة والتفقه في الدين، بقوله عليه أفضل الصلاة والسلام: "اللهم فقّه في الدين وعلّمه التأويل"، ولذلك قال فيه ابن مجاهد رحمه الله: "ما رأيت أعرب لساناً من ابن عباس"[43].

واستمر التأليف في (غريب القرآن) على يد "خلائق لا يحصون"[44] من ذلك (تفسير غريب القرآن) لزيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب الهاشمي القرشي (عليهم السلام) (ت: 122هـ) [45]، وكتاب (غريب القرآن) لأبان بن تغلب (ت: 141هـ)، و(تفسير غريب القرآن) لأبي عبدالله الإمام مالك بن أنس (ت: 179هـ)، و(غريب القرآن) للمسدوسي، مؤرخ (ت: 195هـ) ومثله لمحمد بن يحيى بن المبارك (ت: 202هـ)، وللنظر بن شميل (ت: 203هـ)، وهكذا يستمر التأليف في مثل هذه المصنفات التي لا تحصى[46]، ومثلها كتب (لغات القرآن) التي تناول فيها أصحابها الألفاظ التي يظن أنها غير عربية مما ورد في القرآن الكريم، ومن بينها ما نسب إلى ابن عباس، وكتاب (اللغات في القرآن) لمقاتل بن بشر الأزدي (ت: 150هـ)، و(لغات القرآن) لابن الكلبي (ت: 204هـ)، و(لغات القرآن) للفراء (ت: 207هـ)، و(اللغات في القرآن) لابن دريد (ت: 321هـ)، وغيرها. مما ترافق وظهور كتب (غريب الحديث) كغريب الحديث لمحمد بن المستنير (ت: 206هـ)، وغريب الحديث للفراء، وغريب الحديث لمعمر بن المثنى (ت: 210هـ)، وغريب الحديث للأصمعي (ت: 216هـ)، وغريب الحديث لابن سلام الهروي (ت: 224هـ)، وتزامن مع ظهور كتب الغريب ظهور كتب في المعاني التي تناول أصحابها ألفاظاً تشكل ما يسمى اليوم بـ (الحقول الدلالية) بالشرح والتفسير فهناك مصنفات في الحيوان، كخلق الإنسان لأبي عمرو الشيباني (ت: 206هـ)، ومثله لقطرب، والفراء، والسجستاني (ت: 255هـ)، وخلق الفرس للأصمعي والسجستاني، وكتاب الخيل لابن الكلبي، ومثله لمعمر بن المثنى، ولابن زياد الأعرابي (ت: 231هـ)، وكتب الإبل، والوحوش، والحشرات، والنبات والشجر، والأيام والليالي، وغير ذلك من مصنفات معجمية ككتب النوادر، واللهجات والتصويب اللغوي. مما هيأ مادة معجمية دلالية ضخمة للمرحلة الثالثة من مراحل إنتاج المعجم العربي بمعناه العلمي الشامل على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 175هـ)، الذي يعدّ كتابه (العين) بحق الثمرة الناضجة للنشاط المعجمي عند العرب الذي يشدنا إليه منهجه الرياضي المتقن في الوصف والتحليل والتنظيم الذي فرضه على اللغة – كل اللغة – شأنها، وشاردها، وواردها، هذا المنهج الذي ينمّ "عن عقلية

رياضـية فذّة، ذات ذوق موسـيقي مرهف سـاعد الخليل في صـنع معجمه من جهة، وسـاعده في استنباط أوزان الشـعر العربي"[47] من جهة أخرى. وبموازنة مسيرة المعجم العربي ابتداءً من قيام الرسـول الكريم ببيان بعض آياته الذكر الحكيم للمسـلمين، مروراً بصـنيع الخلفاء والصـحابة والتابعين في تفسـير ما لم يقدر على معرفته الناس العاديين، وانتهاء بوضـع مصـنفات غريب القرآن، ولغات القرآن، وتفاسـيره، ثم ظهور معجم العين، وما عرف من درس معجمي قديم يعود إلى بعض الحضـارات السـومرية والآشـورية القديمة نتبين الحقائق العلمية الثابتة الآتية: أولاً: أن الدرس المعجمي الدلالي التفسيري عند العرب قد تمَّ بفضل القرآن الكريم، وعلى يد الرسول الكريم الذي أمره الله سبحانه بان يبين لهم ما في هذا النص القرآني الرباني المعجز.

ثانياً: وان عصر النبوة قد عرف الترجمة في جانبها الإداري والدبلوماسي على الأقل[48]، إذ حثَّ النبي ﷺ أصـحابه الأجلاء على أن يتعلموا لغة غير عربية بما دعت إليه الحاجة إلى ذلك بعد انتشـار الإسـلام في الأمم والأصـقاع، فقد جاء في البخاري عن زيد بن ثابت ﷺ قال: "أُتي بي النبي ﷺ مقدمة المدينة، فقيل: هذا من بني النجار، وقد قرأ سـبع عشـرة سـورة، فقرأت عليه، فأعجبه ذلك، فقال: تعلّم كتاب يهودا، فإني ما آمنهم على كتابي، ففعلت، فما مضـى لي نصـف شـهر حتى حذقته، فكنت اكتب إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له"، ويذكر أن (زيد بن ثابت) كان يكتب للملوك بحضـرة النبي ﷺ وكان ترجمانة بالفارسـية والرومية[49]، والقبطية، والحبشـية، تعلّم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن.

ثالثاً: أن القرآن الكريم قد أحدث نظاماً تعبيرياً خاصـاً، ونظماً داخلياً، وقواعد ارتباط ضـمنية، أي حدث لغة خاصـة به، لا تلغي لغة القوم، بال تنشـئ شـيفرتها الخاصـة، ونظامها التركيبي الذاتي[50]؛ فالكلمة أو العبارة القرآنية ليست مجرد حامل آلي للمدلول، أو الفكرة، بل هي معبّر عن منطق خاص في إنتاج هذا المدلول، والتعبير عن المعنى، وأن القول بان الخطاب القرآني صـادر بلسـان عربي مبين لا يحجب تلك الحقيقة، ولا يحجب أن نقول إن القرآن على المستوى الدلالي خالق لمعناه وليس انعكاساً مجرداً لمعانٍ موجودة أصلاً.

رابعاً: أن اللغة العربية – وبفضـل القرآن الكريم وبركاته – قد تقرَّر لها منذ عهد الرسـول الكريم ﷺ وصـحابته الأجلاء وتابعيه من العلماء الأفذاذ ما لم يتوافر للغة غيرها من معجمات على اختلاف أنواعها ومناهجها، وهذا الإنتاج المعجمي الدلالي التأثيلي قد فاق صـنيع الإغريق، والرومان، ورجال القرون الوسـطى. صـحيح إننا اليوم متأخرون عن الأمم الأخرى في صـناعة المعجم، لكن الحقيقة التاريخية البينة أن الأوروبيين لم يعرفوا هذه الصـناعة بشـموليتها، ودقتها، وسـعتها، إلا في بداية القرن السـادس عشـر الميلادي، فانطلقوا في رحابها، وقوانينا نحن إلى حدّ السـبات فيها مسـبقونا اليوم بأشـواط وأشـواك، ونحن لنشـعر بالحاجة الماسـة إلى معجم عربي

تاريخي تأثيلي يحكي قصة الكلمة العربية، أصلها واشتقاقها وتطورها الدلالية واللغوي مثلما هو شأن معاجم الأوربيين الآن، علماً بأننا نمتلك مادة هذا النوع من التأليف ومصادره ومناهجه عبر تراث ضخم من العطاء المعجمي الدلالي، الذي ينتظر من يسعى إليه مبدعاً من خلاله ما يريد. وذلك عمل أولى بالجماعة والمؤسسات والهيئات العلمية الرسمية وغير الرسمية، منه إلى جهود فرد هناك، وفرد هناك.

المبحث الثالث

الدراسات النحوية والبلاغية

تكاد كلمة أكثر علماء التراجم والأخبار القدامى وتابعهم المحدثون تتفق على أن السبب الرئيس في نشأة النحو العربي يتحدد في المقام الأول بنشوء اللحن على ألسنة الفصحاء والعامة، بُعيد الفتوحات الإسلامية لاختلاط العرب بالأعاجم[51]، فالعرب على زعم بعض القدامى "كانت في جاهليتها وصدر إسلامها تبرع في نطقها بالسجية وتتكلّم على السليقة حتى فتحت المدائن .. فوقع الخلل في الكلام، وبدأ اللحن على ألسنة العوام"[52].

ومع إدراكنا للمتغيرات اللغوية بين التلقي الأول للنص القرآني الكريم في زمن الرسولﷺ وفي مرحلة صدر الإسلام كلّها، أي بعد اتساع دائرة الدولة الإسلامية وامتدادها على أصقاع متباعدة "فاللغة العربية في زمن التلقي الأول للقران الكريم لم تكن مدوّنة أو مقعدة بل كانت تتلقى وفقاً للارتكاز الاجتماعي والعرفي للغة في سلوك المتكلم ونشاط الفهم، ولم تكن هناك مرجعية معجمية أو صرفية أو نحوية لضبط الكلام أو الفهم، فكل من المجتمع والفضاء الثقافي العام هو الحاضن للغة، والواعي، والمطور لها، والمنظم لسيرورتها، إلا أن هذا الواقع قد تبدل بعد وفاة الرسول الكريم ﷺ، وتحوّلت اللغة إلى قواعد مقرّرة ومبادئ مصوغة"[53]، وملكة اللسان على ما يقرر ابن خلدون "غير صناعة العربية، لكون هذه الملكة مستغنية عنها في التعليم، والسبب في ذلك أن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة، فهو علم بكيفية لا نفس الكيفية، فليست نفس الملكة وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علماً، ولا يحكمها عملاً"[54]. أقول: مع إدراكنا هذا كله، نرى أن كلَّ ما يقال من كلام في الأسباب الكامنة وراء نشأة النحو العربي، وعلى رأسها يوضع (شيوع اللحن على الألسنة) يغفل مسألة جوهرية حاسمة، وهي أن نزول القرآن الكريم باللسان العربي قد وجّه الدراسات اللغوية وعلى رأسها المستوى النحوي وجهة خاصة تتمثل في جعل البحث اللغوي بمستوياته كافة بحثاً موازياً للرسالة الدينية، بحثاً في الأشكال والأوضاع، مما جعل هذا البحث اللغوي شبيها بأبحاث المفسرين، وذلك هو الحد الذي يجعلنا نسمّي الدراسات النحوية العربية والبحث في إعجاز القرآن ومعانيه (باللغويات المشتركة)، حضرهم على أن يتبينوا ويميزوا بين ما يمكن أن يضعوا للنحو علماً،

وإنما نسبته إليه"[55]، في ضوء أفصح القول بياناً وبلاغة، وان يحاولوا اكتشاف المعنى القرآني المتفرد من خلال التأمّل في النص وتقليبه على أوجه متعددة للوقوف على المعنى المراد، لقد صار النحو العربي بفضل القرآن درساً لهذا المشترك بين القول الإلهي، والقول البشري، والذي هو إلهي في مصدره وحقيقته، وان اللغويين العرب المسلمين القدماء كانوا ينظرون إلى عملهم في النحو، والصرف، والتفسير، والقراءات، والدلالة، وغير ذلك من علوم اللغة العربية بوصفها بحثاً في الرسالة اللغوية الموازية للرسالة الدينية. والقول بأنّ القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين لا يحجب حقيقة ساطعة تتمثّل في أن هذا الكتاب الرباني المعجز قد أحدث نظام تعبير خاص به، ونظماً داخلياً، وقواعد ارتباط ضمنية، أي احدث لغة خاصة به، لا تلي لغة القوم، بل تنشئ شيفرتها الخاصة نظامها التركيبي الذاتي بل وتخلق دلالاتها غير المعهود أكثرها من قبل[56]. وهكذا كانت البداية في العلوم العربية الإسلامية كلها، ممّا يدعونا إلى القول إن البداية في التعرّف على القرآن الكريم تعني التعرف على اللغة التي نزل بها، والتمكّن من دقائقها وأسرارها الصوتية والمعجمية والدلالية والتركيبية، وبهذا التعرف يمكن تحقيق أمرين في آن واحد: الأول: الاقتراب من المعنى المراد تفسيراً وبياناً، لاسيما أن كثيراً من الأمور الشرعية الإسلامية قد استندت في بيانها إلى طبيعة التراكيب النحوية للآية المعينة، ولذلك اختلفوا – أحياناً – في الحكم الشرعي المراد من الآية المعينة على أوجه. والثاني: التعرف على أسرار لغة القرآن، ومواطن إعجازها، والأوجه التي تختلف فيها عن لغة العرب في شعرهم وأمثالهم وآدابهم، مما تتبين في ضوئه وحدة هذا الكتاب التكوينية، ووحدته الوظيفية الجامعة لكل آياته، وهي وظائف تتداخل بعضها مع بعض، وهذه الوحدات التكوينية "ليست حاملاً مكرها وآلياً للمعنى والفكر، بل هي مُعبر عن نمط تفكير ومنطق خاص في إنتاج المعنى"[57]، ومن ثم إنتاج المعارف والعلوم والفقه والمنطق والفلسفة، وغير ذلك مما اشترك العرب في إبداعه وتأصيله. إننا نكاد نجزم بان نشأة النحو العربي بأصوله وفروعه ومناهجه نشأة عربية إسلامية بغض النظر عن محاولات بعض المستعربين والمستشرقين وتابعهم بعض الباحثين العرب، ممّن حاولوا ربط نشأة النحو العربي بالنحو السيرياني، أو اليوناني، أو الهندي[58]. وكان شيوع اللحن على (ألسنة الفصحاء) إن صحّ هذا الشيوع آخر العوامل التي دعت إلى نشوء هذا العلم العربي الإسلامي، والدافع الأساسي لنشوئه هو الدين الإسلامي الحنيف متمثّلاً بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، إذ نهض الإسلام بمن آمن به من سبات الضلالة، وعتمة الجهل إلى النور الإلهي، والانفتاح العقلي على رحاب أوسع من الحياة اليقظة والمتحركة، والعاملة، والعالمة التي دفعت هؤلاء المسلمين إلى أن يطلبوا العلم، ويبدعوه، وكانت الدراسات اللغوية على المستويات كافة ثمرة لذلك. وقبل الولوج في بيان الحجج والبراهين التي تؤكّد أن هذه الدراسات جميعها قد نشأت، ونمت، وترعرت بفضل

القرآن الكريم لابد من لفت النظر إلى جملة من الأمور التي تعين على تأكيد دور القرآن الكريم في نشأتها، ومن هذه الأمور ما نوجزه بالآتي:

أولاً: إننا ونحن نتحدّث في المستوى النحوي لابد لنا من التفريق بين طورين أساسيين من الأطوار التي مرّ بها النحو العربي: الطور أو المرحلة التي سبقت وضع المصنفات النحوية، وهي مرحلة ابتدأت في صدر الإسلام حيث الخليفة علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وأبو الأسود الدؤلي (ت 69هـ)، رحمة الله تعالى، وهي مرحلة اشترك فيها قرّاء، ولغويون، ومفسرون، وفي هذه المرحلة نجد النحو العربي يسير جنباً إلى جنب مع قضايا المعجم والدلالة، والتفسير، وهذه المسيرة الجماعية للعلوم الإسلامية وفي آن واحد، وفي مكان واحد ليدل على أن باعثها واحد هو القرآن الكريم لا شيوع اللحن.

والطور الثاني مرحلة مشتركة بين نظرتي المعجم والنحو بتجاذبهما البحث عن المعنى اعني (علم الدلالة) وفي هذه المرحلة كان التأليف النحوي، وفيها "ظهرت القسمة واضحة بين الدراسة المعجمية الدلالية، والدراسة النحوية التركيبية على ما في الثانية من عناصر مرجعها (نظرية المعجم)، ويمكننا القول أنَّ كلا طوري هذه المرحلة التأسيسية يؤكّد أنّها مرحلة مشتركة عناصرها ثلاثة: المعجم والنحو والدلالة.

ثانياً: أن الدرس الصرفي كان وسيطة بين النحو واللغة، يتجاذبانه، علماً بأنّ أقرب المستويات اللغوية إلى النحو هو المستوى الصرفي، مع الانتباه إلى أن بين المستوى الصرفي وعلم الاشتقاق فرق كبير، فالأخير يمثل إحدى وطائف الصرف أو التصريف، والعلاقة بين الصرف والاشتقاق علاقة خاصة وعام، فالاشتقاق أقرب ما يكون إلى اللغة في جانبها المفرداتي المعجمي، والصرف أقرب ما يكون إلى النحو، ولذلك دأب النحاة الأوائل منذ الخليل وتلميذه سيبويه وما قبلهما، وما بعدهما إلى أن يكون الدرس النحوي جزءاً من الدرس النحوي ومكملاً له، بل أننا نرى في الدرس الصرفي تمهيداً ومقدمة ضرورية لأية دراسة نحوية، وذلك ما تنبّه إليه بعض علمائنا المتقدمين[59].

ثالثاً: أن هناك علاقة وطيدة بين نقط المصحف الشريف، ونشأة النحو العربي فنقط المصحف أول خطوة باتجاه وضع النحو العربي إذ كان هذا النقط نقط شكل وإعراب لا نقط اعجام فحسب، قام به رجل يعد في طبقة التابعين، هو أبو الأسود الدؤلي (ت: 69هـ) تلميذ علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – محدثاً، وفقيهاً، بل وقارئاً، وما النقط إلا وضع الحركات على أواخر الكلمات فتحاً، أو ضماً، أو كسراً وهذه الحركات من أبرز قرائن المعنى في اللغة العربية، تحدد الفاعل من المفعول، وتحدد نوع المرفوع بوصفه عمدة في الكلام، ونوع المنصوب بوصفه قيداً إسنادياً في الجملة العربية، ونوع المجرور صفة أو مضافاً إليه، أو مجروراً بحرف جر، وما

هذا النقط إلا النحو في صورته الأولى والمهمة، وقد تمّ لا بسبب شيوع لحن كما تفيد الوقائع التاريخية، بل وضع لبيان معنى الكلمة وهي منتظمة داخل التركيب المعين. وللتدليل على أن نشأة النحو العربي كانت بفضل القرآن الكريم، وتأكيداً على نضج العقلية العربية وحاجتها إلى إبداع العلوم، وليس بسبب (شيوع اللحن على ألسنة الفصحاء والعامة) نسوق البراهين الآتية:

أولاً: دعوة القرآن الكريم المسلمين إلى طلب العلم، وصناعته وكان الرسول الكريم أو ثمار هذه الدعوة القرآنية وموجّهها بما ألهمة الله من خلق وعلم عظيمين، وجعله أفصح العرب وأصدقهم قولاً وفعلاً، وقد سار على هديه خلفاؤه الراشدون، وصحابته الأجلاء ومن تابعهم.

ولذلك كان نشوء النحو العربي في وقت مبكر من عصر صدر الإسلام، وليس بعيداً عنا قول الخليفة عمر بن الخطاب(رضي الله عنه):"تعلموا العربية فأنها تشبب العقل، وتزيد المروءة"[60]، والعربية أو علم العربية هو النحو، ومن الواضح أن الخليفة عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) لم يقل: تعلموا العربية فأنها تدفع اللحن"، وقوله يشير إلى أن للعرب علوماً لغوية كانت قبل أبي الأسود، الذي سئل عمن فتح له الطريق إلى الوضع في النحو وأرشده إليه، فقال: تلقيته عن علي بن أبي طالب رحمه الله، وفي حديث آخر قال: ألقى عليّ (عليّ) أصولاً احتذيت بها[61].

ثانياً: تعذر فصل العلوم الإسلامية (في طول نشأتها الأول) بعضها عن بعض، فلا يمكن فصل علم القراءات عن علم التفسير أو الفقه أو علوم اللغويات، وتعذر وصف أي عالم إسلامي من الأوائل بعلم خاص، فكان الرجل منهم قارئاً، ونحوياً ومفسراً، وفقيهاً في آن واحد، مما يشير إلى أنهم ينهلون من منهل واحد، ويتوجهون توجهاً واحداً، هو خدمة الدين الجديد، والإعلاء من شأن الإسلام طلباً لرضا الله وتحقيقاً لدعوة القرآن.

ثالثاً: نشوء النحو العربي في أحضان القراءات القرآنية، حيث كان النحو عبارة عن أداة يستعملها القراء للوصول إلى القراءة الصحيحة أو المشهورة، فهو في جملة أدواتهم كالرواية مثلاً، وظل النحو مرتبطاً بالقراءات القرآنية مؤثّراً فيها حتى وضعت شروط محدّدة للأخذ بالقراءة المعينة وهذه الشروط تتلخص في ثلاثة هي -صحّة السند، وموافقة القراءة للرسم العثماني، وموافقتها لوجه من أوجه العربية[62]. وليس بخاف على ذي البصيرة أن القراءات القرآنية قد إنطوت على أوجه من النحو كثيرة سواء على المستوى الصوتي، وأعني به مستوى اختلاف العلماء الأوائل في تغير الحركات على أواخر الكلمات وداخل الجملة القرآنية المعينة، من فتح إلى ضم، أو كسر أو من كسر إلى ضم، أو سكون، أو فتح، ومن ضم إلى سكون، ومن فتح إلى ضم، واختلافهم في بعض الصيغ ووظائفها الصرفية والنحوية والدلالية، أو اختلافهم في المستوى النحوي، ودلالاته، فهناك ما قرئ من الأسماء المعربة، بالنصب والرفع، وما قرئ بالنصب والجر،

وما قرئ بالرفع والجر، وما قرئ بالأوجه الثلاثة، وما قرئ بالإعراب مرة، وبالبناء أخرى، كلُّ ذلك كان محلّ خلاف ودراسة، وتبصّر بل وعلم، ولم يكن هناك شيوع لحنٍ على ألسنة الناس[63]. وممَّا يجدر ذكره هنا أن موقف النحاة، وقد استوى علم النحو على عودة – في القرن الثاني للهجرة، قد وقفوا من القراءات موقفاً صائباً يدلّ على ما لهذه القراءات من أثر في بناء النحو العربي فعندهم "أن القراءة لا تخالف، لأنَّ القراءة سنة"[64]. و"أن القرآن أعرب وأقوى في الحجّة من الشعر"[65].

رابعاً: ولو كان النحو العربي قد نشأ لتفشي اللحن على الألسنة لما كان نشوؤه موازياً لعلم آخر هو علم (أصول النحو) "الذي نشأ مع علم النحو نفسه إلا انه لم يدوّن إلاّ في زمن متأخّر"[66]، فالقوم بحاجة إلى قواعد لضبط الكلام حين نكون مع تفشي اللحن، وهم بحاجة إلى تلك القواعد وأصولها، ومصطلحاتها، حين نكون مع العلم الذي يتمثل مظهراً من مظاهر الرقي الفكري بفضل الإسلام، ومن المعروف أنَّ من أبرز أصول النحو هو (السماع)، ويقصد به "الكلام العربي الفصيح المنقول النقل الصحيح الخارج من حدّ القلة إلى حدّ الكثرة"[67]، وإذا كان النحاة قد اختلفوا في الحدود الزمانية والمكانية لقبول المسموع والقياس عليه، فإنهم لم يختلفوا في كون النص القرآني من أعلى مراتب المسموع، وأصلاً من أصول الاستشهاد وتقرير القواعد وسن القوانين النحوية. زد على ذلك أن الأصول المنهجية، والأدلة الإجمالية التي استندت إلى النص القرآني الشريف كانت غاية في الإتقان والاستواء في النقل والقياس والإجماع واستصحاب الحال[68]، ولقد كان النقل أو ما يطلق عليه (السماع) أكثر هذه الأصول أهمية، إذ حاول النحاة أو هكذا يفهم من صنيعهم أن يستندوا في بناء قواعد النحو، وأنظمته إلى الكلام الفصيح، وليس هناك أفصح ولأبلغ وأعلى مرتبة في البيان من القرآن الكريم.

خامساً: إذا كان تفشّي اللحن على ألسنة الفصحاء هي العامل الأول في نشأة النحو العربي فهل لنا أن نسأل مع من سأل من قتل[69]: كيف يظن أولاً بهؤلاء الفصحاء أنهم يلحنون في الكلام فضلاً عن القرآن، وهم الفصحاء اللّدُّ. ثم كيف يظنّ بهم ثانية اللحن في القرآن الذي تلقوه؟ من النبيﷺ كما أنزل، وضبطوه، وحفظوه، وأتقنوه؟ ثم كيف يظن بهم ثالثاً عدم تنبههم ورجوعهم عنه.

سادساً: ومن البديهي أن يشغل القرآن الكريم أذهان الناس، ويشحذ أفكارهم بإعجازه وروعته، وبلاغته وبذلك تتشكل بفضله علوم البلاغة، وما البلاغة في تقديرنا إلا نمط أساسي من أنماط الدرس النحوي، بل إن النحو ابن البلاغة ولذلك سمو البلاغة (النحو العالي) "ولا مراء في أن السعي لبيان إعجاز القرآن البياني، حشد معه كل جهد ممكن من لغة، ونحو، وبيان، وأصول، وغير ذلك، ولا مراء في أنّه هدف – فيما هدف إليه – الوصول إلى ما يمكن الوصول إليه من

تمام معاني القرآن الكريم. ولا مراء في أن هذا السعي المبارك، لاسيما في جانبه البلاغي قد تنبّه ونبه على أهمية النظم بوصفه آلية متكاملة لصياغة النص ومعانيه، يكون في حساباتها المتكلم والمتلقي ومقتضى الحال"(70). والناظر لكتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت: 210هـ) (71) ليدرك المدى والأثر البعيدين اللذين أثرها على علمائنا الأوائل وهم ينظرون في علمي المعاني وأصول الفقه، هذين العلمين المتداخلين بدورهما مع علم النحو وإلا كيف للعلماء المتقدمين هذا التحليل العلمي الدقيق لأساليب الخبر والإنشاء، وما يخرج به كل منهما إلى دلالات مستفيضة كخروج الطلب إلى الاستفهام، وخروج الاستفهام إلى الإنكار، والتفجع، والتوجع، وخروج الأمر إلى الالتماس، والعرض، والتحضيض، وهكذا توسّعت مقاصد العلماء وهم ينظرون النص القرآني، الذي يستوفي فيه التركيب الواحد "مدلولات متنوعة متناسقة، وكل مدلول منها يستوفي حظّه من البيان والوضوح دون اضطراب في الأداء، واختلاط في المدلولات، وكطل قضية، وكل حقيقة تنال الخير الذي يناسبها، بحيث يستشهد بالنص الواحد في مجالات شتى"(72).

خاتمة

سعى البحث إلى تأكيد جملة من الحقائق الساطعة منها:

أولاً: أن العرب المؤمنين بالقرآن الكريم قد بنوا قاعدة فكرهم العلمي، وأوصلوا مناهجهم داخل دينهم، وكانت العربية هي التي استوعبت علومهم التي عرفت بالعلوم العربية الإسلامية، والقرآن الكريم هو العامل الأساسي في بناء اللحمة الوثقى بين اللغة العربية والفكر إلى إبداع هذه العلوم، وصارت اللغة العربية بفضل القرآن لغة أمم لا لغة أمّة واحدة، لغة لا يمكن أن تحدّد بحدود أصحابها، لأنها لغة القرآن الكريم وهو كتاب رباني للبشر جميعاً.

ثانياً: أن القرآن الكريم قد تملّك على العرب نفوسهم وحيواتهم، فكانوا أول من أمن به خارجين بذلك عن طباعهم النفسية، وعاداتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وعيرها حاملين لواء الفكر مبشرين به إلى حد الشهادة، لأن هذا الكتاب العظيم قد غلب العرب على نفوسها وامتلك خيالها، واستبد بتصوراتها، ووحد أنسابها، ووجهها الوجهة الإنسانية الحقيقية.

ثالثاً: أن العرب المسلمون قد تفهموا رسالة السماء ووقفوا على معاني القرآن وحاولوا ذلك لأنه نزل بلغتهم، وعلى أساليبها البلاغية والأسلوبية وإن كان القرآن الكريم قد خلق معناه ومفرداته وتراكيبه المعجزة، وقد تأطّرت اللغة العربية بالقرآن الكريم على المستويات اللغوية كافة، أصواتاً وبنيات وتراكيب.

رابعاً: أن الارتباط العضوي بين القرآن الكريم، وما أنتجه العرب من علوم من الأمور التي يكون الحديث فيها حديثاً عن أمر واقع، وفرض مقرر لا يحتاج ذو بصيرة أن يستدل عليه،

فالقرآن الكريم كلمة الله ودستور الإسلام، والأب الشرعي لكل العلوم الإسلامية التي بدأت تظهر وتترعرع منذ عهد الرسول الكريم (ﷺ) ومنها العلوم اللغوية وعلوم الفقه والتفسير والقراءات القرآنية هذه العلوم التي وجدت بفضل القرآن الكريم في دعوته المسلمين إلى إيجاد العلوم والإبداع فيها، لكي يتحدد لهؤلاء المسلمين هويتهم التي تخولهم أن يكونوا هداة للعالم كله، ولم تكن الأقوام غير العربية لتقدم على الإيمان وتؤمن برسالة القرآن من غير أن تجد في جملة هذا الكتاب مشروعاً علمياً وثقافياً ومعرفياً من إبداع المسلمين أنفسهم، وليس من شك أن القرآن الكريم هو الذي عمل على توطين مستجدات الفكر والثقافة والمعارض والعلوم الإسلامية، في أذهان الناس وحيواتهم حتى صار طلب العلم فريضة تقرّب أصحابه من الله سبحانه.

الهوامش والمصادر:

1. ابن كثير، البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، تحقق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408، هـ - 1988 م 102/3.
2. ابن منظور: لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، دار صادر – بيروت، ط3 - 1414 هـ (مادة: فكر).
3. الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: 502هـ) تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط1 - 1412 هـ 348/1.
4. فودة سعيد: مظاهر الفكر الإسلامي واستقلاليته (بحث)، المؤتمر العلمي الدولي للمعهد العالي للفكر الإسلامي، عمان، 30 شوال، 29 تشرين الثاني 1429-2008. ص3 .
5. ينظر: العظمة عزيز: تكوين العقل العربي: الناشر: مركز الدراسات الحدة العربية، الطبعة16، 2023، ص 63-64.
6. العظمة: مصدر سابق، ص 68.
7. ابو نصر الفارابي، تحصيل السعادة: تحقيق: جعفر آل ياسين، دار الاندلس للطباعة والنشر- بيروت، ط1، 1981 ص 49 (بتصرّف).
8. ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، الناشر: محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ-1997م ص78.
9. عبد التواب رمضان: فصول في فقه اللغة: الناشر: الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، ط6، 1420هـ، ص 90.
10. المبارك مازن: نحو وعي لغوي: الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت 1399هـ، ص 118-119 (بتصرّف).
11. ينظر على سبيل المثال: الراجحي د. عبده: مصطلح الحديث وأثره على الدرس اللغوي عند العرب، دار المعارف الجامعية، مصر، 1985، ص73.
12. ينظر: برجستراسر: التطور اللغوي للغة العربية، ترجمة: د. رمضان عبد التواب، الرياض، 1402هـ-1982. ص5.
13. المصدر نفسه: ص 5.
14. مونين جورج: تاريخ علم اللغة منذ نشأته حتى القرن العشرين، ترجمة: د. بدر الدين القاسم، دمشق، 1972، ص 106-107.
15. نهر، هادي: الأساس في فقه اللغة العربية وأرومتها، دار الفكر، عمان، 1423هـ-2002، ص 182 وما بعدها.
16. السيوطي، جلال الدين (ت: 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: عبد الرحمن فهمي الزواوي، دار الغد الجديد، القاهرة، 1424هـ-2006، 270/1.
17. نفسه، 272/1.
18. ابن ماجه محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني (ت: 273هـ)، سنن ابن ماجه، دار إحياء الكتب العربية، ترقيم: عبد الباقي، مصر، ص 138.
19. السيوطي: الإتقان، 243/1.

20. ينظر: نصار، د. حسين: دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، ص 15 وما بعدها.
21. الحباس، د. محمد: النحو العربي والعلوم الإسلامية (دراسة في المنهج)، عالم الكتب الحديث، اربد، 2009، ص13.
22. البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت: 256هـ)، صحيح البخاري، دار الفكر العربي، بيروت، 1426هـ-2005، 346/3، 185/6 (فضائل القرآن: 4992).
23. ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت).، 24/1، وينظر: نهر، د. هادي: التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية، عالم الكتب الحديث، اربد، 1429هـ-2008، ص 40 وما بعدها.
24. ابن مجاهد، السبعة في القراءات، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، 1972، ص 45 وما بعدها.
25. التهانوي: محمد علي الفاروقي: كشاف اصطلاح الفنون، تحقيق: لطفي عبد البديع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1969، ص 37.
26. السيوطي: الاتقان، 273/1.
27. ينظر: عبد العزيز، د. محمد حسن: القياس في اللغة العربية، مصر، 1415هـ-1995، ص 56.
28. ينظر: نهر، د. هادي: التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية، ص 32.
29. الزجاج (ت: 310هـ): معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة، 1414هـ-1994، 81/2-82.
30. وينظر في (العرضة، والعارضة) ويقصد بهما: اللقاء الكريم بين النبي وجبرئيل في كل سنة من شهر رمضان: البخاري: صحيحه، 346/3.
31. ينظر: ابن عطية: القاضي عبد الحق (ت:410هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، ط2، دار الفكر العربي، بيروت، 1422هـ-2001.
32. ينظر: ظبيان، محمد رضا: نشأة علوم اللغة العربية في الآيات المعجزات، دار حزم، بيروت، 1418هـ-1997، ص 24 وما بعدها، وشاهين، د. توفيق محمد: علم اللغة العام، مكتبة وهبة، القاهرة، 1400هـ-198، ص 41-42.
33. القنوجي: أبجد العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999، 146/2.
34. حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، بيروت، 1985 286/1.
35. الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، 39/1.
36. السيوطي: الإتقان، 173/2.
37. ينظر: بعلبكي، د. رمزي منير: حدود العلاقة بين المكونات المعجمية والنحوية في التراث النحو العبي، مجلة المعجمية، ع 12-13، تونس، 1416هـ-1996/ 1417هـ-1997، ص 29.
38. ينظر في ذلك: المغني في الضعفاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سنة الولادة 673هـ/ سنة الوفاة 748هـ، تحقيق الدكتور نور الدين عتر، 197/2، والطبراني: المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: 360هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط2، 248/10 (رقم 10597).

39. القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : 671 هـ) ، تحقيق : هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، طبعة : 1423 هـ/ 2003 م24/1.
40. الحباس، د. محمد، مرجع سابق، ص 139.
41. السيوطي: الإتقان، 48/2 وما بعدها.
42. حققه الدكتور أحمد بلوط ونشره باسم (كتاب غريب القرآن)، وحققه الدكتور صلاح الدين المنجد باسم (اللغات في القرآن).
43. ينظر: ابن عباس: غريب القرآن، تحقيق: أحمد بلوط، مكتبة الزهراء، القاهرة، 1413هـ-1992، ص 37-38.
44. السيوطي: الإتقان، 3/2.
45. توجد نسخة منه في دار المخطوطات بصنعاء برقم (581).
46. ينظر: نهر، د. هادي، الأساس في فقه اللغة وأروقتها، مصدر سابق، ص 159.
47. الجابري: محمد عابد: تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2002، ص 193-194.
48. ينظر: بحراوي، حسن: أبراج بابل شعرية الترجمة من التاريخ إلى النظرية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، 2010، ص 31.
49. ينظر: التلمساني الخزاعي: تخريج الدلالات السمعية، القاهرة، 1981، ص 435.
50. ينظر: قانصوه، د. وجيه: النص الديني في الإسلام، ص 16.
51. ينظر: الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر (ت: 379هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، ص 22، وياقوت الحموي: إرشاد الأريب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1414 هـ - 1993 م77/1، 87/ 82.
52. الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص 4.
53. قانصوه، وجيه: مرجع سابق، ص 584 (بتصرّف).
54. ابن خلدون: المقدمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2003، ص 559.
55. العلوي: أحمد: السيبويهيه، ص 19.
56. ينظر: قانصوه: مرجع سابق، ص 16.
57. قانصوه: مرجع سابق، 17.
58. ينظر: أحمد أمين: ضحى الإسلام، ط10، دار الكتاب العربي، بيروت، 1936، 245/1.
59. ينظر: ابن جني (ت: 392هـ): الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط2، دار الهدى، بيروت، 3/1-4.
60. عن القوزي: د. عوض: المصطلح النحوي، ص 8.
61. الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، مصدر سابق، ص 4.
62. ينظر: ابن الجرزي: النشر، مصدر سابق، 9/1.
63. ينظر: نهر، هادي: التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية، مصدر سابق.
64. سيبويه: الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1975، 148/1.

65. الفراء: معاني القرآن، 14/1.
66. حباس: مرجع سابق، ص 60.
67. ابن الأنباري: لمع الأدلة في أصول النحو، الإغراب في جدل الإعراب، ولمع الأدلة: تحقيق: سعيد الأفغاني: مطبعة الجامعة السورية، دمشق، 1957.، ص 81.
68. المصدر السابق، ص 81.
69. ينظر: السيوطي: الاقتراح في علم أصول النحو، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)
حققه وشرحه: د. محمود فجال، دار القلم، دمشق، ط1، 1409 - 1989 م، ص 104-105.
70. النعمة، د. مقبول علي بشير: الاتساع في المعنى، ص 147 (بتصرف).
71. ينظر: ابو عبيدة معمر بن المثنى: مجاز القرآن.
72. قطب، سيد: تفسير سيد قطب: في ظلال القرآن، ط3، دار الشروق، القاهرة، 1787/.2004.